أحيانا ، لكونهم ليسوا من الناس — الناس البيض المتحضرين .

ولعل فيما قاله الفيلسوف — الكاتب اليهودي ، احاد هعام ، (١٨٥٦ — ١٩٢٧) ، خير دلالة على ما اتسمت به نظرة المستوطنين الصهيونيين الى عرب فلسطين ، من تجاهل واحتقار . فبعد رحلة قام بها الى فلسطين ، عام ١٨٩١ ، كتب احاد هعام مقالا بعنوان « حقيقة من فلسطين » . وقد جاء فيه ما يلي : « درجنا نحن في الخارج على الاعتقاد بأن فلسطين الان مقفرة تقريبا ، صحراء غير ذي زرع ، ومن أراد شراء الارض بها ، فليأت ويشتر كما يطيب له ... ودرجنا نحن في الخارج على الاعتقاد بأن العرب جميعا هم من وحوش البراري ، شعب أشبه ما يكون بالحمير ، وانهم لا يرون ما يجري حولهم ولا يفقهونه ... ودرجنا نحن في الخارج على الاعتقاد بأن الحكومة التركية ضعيفة ومضطربة ، الى حد انها لا تعير اهتماما أبدا لما يجري في فلسطين . واننا بالرشوة ، نستطيع أن نفعل كل شيء ، وكم بالحري اذا كنا تحت حماية ممثلي دول اوروبا » . ومضى احاد هعام ينفي هذه المزاعم ، ولكن هيهات أن يثني صوته المتردد دعاة الصهيونية عن المضي في تنفيذ مشاريعهم الاستيطانية . فمنهم من ذهب الى التخطيط لخلق واقع جديد ، يتفق والمنطلقات الذاتية للصهيونية السياسية . ومنهم من عمد الى تغييب الفلسطينيين حضاريا ، عله يوحي بانعدام التناقض بين المنطلقات الذاتية للصهيونية والظروف الموضوعية في فلسطين . ولعل أبرز الامثلة على التغييب الحضاري ، ما قاله أحد منظري « اليسار الصهيوني » الاولين ، بير بوروخوف ، (١٨٨١ — ١٩١٧) .

ففي أحد أهم مقالاته ، « برنامجنا » ، يقول بوروخوف : « وليست لابناء فلسطين صفة اقتصادية أو حضارية مستقلة . فهم منقسمون على أنفسهم ومفتتون ، ليس فقط بسبب تضاريس البلد ، ولا بسبب التمايز الديني فيه ، وانما أيضا لكونه خانا دوليا . وأبناء البلد ليسوا أمة واحدة ، وسيمضي وقت طويل قبل ان يصبحوا كذلك . وهم يستوعبون أي طابع حضاري ، يكون أرفع من مستواهم ، ويأتيهم من الخارج ، بسرعة وسهولة كبيرتين . وليس بمقدورهم التكتل في عملية مقاومة منظمة ضد التأثيرات الخارجية . وهم غير مهيئين للتباري على الصعيد القومي — ومباراتهم تأخذ الطابع الفردي أو الشللي ... وسكان فلسطين سيتكيفون مع أي طابع اقتصادي أو حضاري ، يحتل موقعا يهيمن اقتصاديا على البلد . وهم سيندمجون من الناحيتين — الاقتصادية والحضارية ، بمن يدخل النظام الى البلد ، وبمن يأخذ على عاتقه تطوير قوى الانتاج في فلسطين . **والمهاجرون اليهود هم الذين سيتولون تطوير قوى الانتاج في فلسطين . أما السكان المحليون فيها ، فسيندمجون ، على مر الايام ، اندماجا اقتصاديا وحضاريا ، باليهود . »** [التشديد بالاصل] .

ولما لم يعد ادعاء الجهل بالوجود الفلسطيني ممكنا ، بواقع الاصطدام به من خلال تنفيذ عملية الاستيطان ، عمدت السياسة الصهيونية الى التعامي عن ذلك الوجود ، ومحاولة الاستدارة حوله . ولجأت الى التعامل مع المشاكل الناجمة عن الاستيطان من خلال موازين القوى الدولية ، بدلا من التفاهم مع القوى المحلية ، على حد قول الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر (١٨٧٨ — ١٩٦٥) . واشترت الاراضي من الاقطاعيين ، غير آبهة بمصير الفلاحين الذين عليها . وبعد ان تحكمت باقتصاد البلد ، تبنت سياسة العمل العبري والسوق اليهودية ، وهي لا تعبأ بحياة السكان المحليين الاقتصادية . هذا قليل من كثير من سياسة التعامي ، التي بلغت ذروتها في كلام بن غوريون ، عندما قال في مناقشة بيان « عصبة السلام » ، عام ١٩٢٨ ، انه لا يرى في فلسطين مشكلة عربية وانما يرى فيها مشكلة يهودية فقط .